حسبنا الآن فكافية واما ما جاء في المنار مما به ينقض ذاته لذاته فحذرت عنه ولا حرج. فتارة (عدد ١ : ١٠) يروي عن المدققين ان الذي صُلب لم يمت بل اغمي عليه. وتارة (عدد ٢ : ١١٩) يجزم بان اثنين من التلاميذ اختاسا من القبر جثة المصلوب . الى غير ذلك من ناقض ومنقوض مما يضحك الثكلى لولا ما وراءه من النية الثابتة لتذليل النصرانية وان ظلماً وعدواناً

البرهان الصريح

في اثبات ألوهيّة المسيح

ردًّا على مجلّة المنار للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

الفصل الثامن

الوهيّة المسيح في قيامته

مات المسيح لكنّ موته كان بدء مجده فانهُ لم ينزل بعد عن صليبه واذا الطبيعة كلها تشهد لعزّه ولاهوته. فانكساف الشمس وانتشار الظلمات على الارض وخروج اجساد القديسين من قبورهم وقرع الجموع لصدورهم بالاياب فكلّ ذلك يردّد بلسان حاله قول قائد المئة: « حقًّا كان هذا ابن الله »

وما كاد يلفظ نَفَسهُ الاخير حتى صار جسد المصلوب موضوع الاكرام والوقار لكنّهُ لم يسمح بان يمسّهُ صديق الى أن يطعنهُ احد الجنود بحربته ليتحقّق كل الناس صحّة موته ويدلّ البشر على انّ ذاك الجنب المفتوح يتضمّن قلباً مفعماً بالحبّ لجميع الامم تفيض منهُ على بني آدم نعم الخلاص التي رمز اليها بالدم والماء السائلين من جنبه

وها هوذا قد باشر باثبات نبوّته حيث قال (يو ١٢ : ٣٢) : « وانا اذا ارتفعتُ عن الارض جذبتُ اليَّ الجميع ». واوّل من جذبهم اولئك الذين سعوا في تحنيط جسده ودفنه وفي مقدّمتهم رجلان من اعيان اليهود نيقوديموس احد اعضاء مجمع اليهود

ويوسف الرامي وكلاهما كان من تلاميذهِ لكنهما كانا متستّرين خوفاً من اليهود ففي تلك الساعة والخوف احرى بان يشملهما تراهما نبذا كل رعب فدخل يوسف على بيلاطوس بكل جرأةٍ ونال منهُ جسد المصلوب ثمَّ انزلا الجسد عن الصليب وحنّطاهُ ولفّاهُ باللفائف ووضعاهُ في قبر جديد منحوت في صخرة كان يوسف اعدّهُ لنفسهِ في وسط بستانٍ هناك ودحرجا حجرًا ضخماً على باب القبر

بهذا القبر وبهذا الحجر ينتهي كلّ جاه العالم وعظمة الملوك والسلاطين وربّما اختلف القبر في حسنهِ ورونقهِ ووفرة نقوشهِ فيزيد بذلك الاعلان ببطلان مفاخر الدنيا وبذلة من مات فنيات ولم يترك من بعدهِ سوى الذكر الفارغ. وتُكتب في الغالب على صفاح القبر كتابة مزخرفة توقف ابن السابلة على ذاك الذي كان كذا وكذا في زمانهِ ولم يبق منهُ الّا رمّة مخرة فيسير في طريقهِ مردّدًا

ألا كلُّ شيءٍ ما خلا اللهَ باطلُ وكلُّ نعيم لا محالة زائلُ

صدق لبيد بقولهِ «ما خلا الله» وها هوذا الله سيبعث من هذا القبر حياةً جديدة تفوق على الحياة التي سبح لاعدائهِ ان ينتزعوها منهُ لساعات. وسوف يُضحي هذا القبر الذي هو لجميع البشر منتهى عزّهم وسلطانهم مبدأ عزّ المسيح ومفتتح سلطانهِ فتتمّ فيهِ نبوّة اشعيا القائل عن ابن داود منتظر الامم (١١: ١٠): «ويكون قبرهُ مجيدًا»

والحقّ يقال انّ لاهوت المسيح الذي تتّبعنا مجاليهُ في كل اطوار حياتهِ لم يظهر في واحدٍ منها ظهورهُ في قيامتهِ لأنّا في تلك الاطوار كنّا نشاهد اعمال اللاهوت ممتزجةً باعمال الناسوت القوّة مع الضعف العظمة مع الذلّ امّا في قيامتهِ فظهر الاله بجبروتهِ وجلالهِ وكل صفاتهِ العلويّة

ولعلّ الخصم يوقفني هنا ويقول: دع عنك هذه المناقشة فكيف تقنعنا بهذه القيامة المزعومة؟ اين شهودك على هذا الامر الغريب؟ هيهات ان نرضى بمجرّد الادّعاء ما لم تثبت الامر ببيّنات اضوأ من النهار

على رسلك يا صاح. دونك الشهود وكأنهم في مصفّ الشهود المتازين الذين لا سبيل الى ردّ شهادتهم كما سترى

واوّل شاهد على ذلك السيّد المسيح نفسهُ فانهُ مدّة حياتهِ اعلن غير مرّة بانهُ سيجعل قيامتهُ كالدليل العظيم على لاهوتهِ وذلك لمّا اتاهُ الكتبة والفريسيون فسألوهُ ان يُريهم آيةً فكان جواب الربّ (متى ١٢: ٣٨): « انّ الجيل الفاسق يطلب آيةً فلا يعطى آيةً الّا آية يونان النبيّ لانهُ مثلما كان يونان في بطن الحوت ثلاثة أيام وثلث ليال كذلك يكون ابن البشر في قلب الارض ثلثة ايام وثلث ليال ». وقد كرّر قولهُ مرّةً ثانية (متى ١٦: ٤ ولوقا ١١: ٢٩). ثمّ صرّح بالامر في موطن آخر لمّا طرد الباعة من الهيكل فقال لهُ اليهود (٢: ١٨—٢٠): « أيّة آيةٍ ترينا حتى تفعل هذا فاجاب يسوع وقال لهم: انقضوا هذا الهيكل وانا في ثلاثة ايام اقيمهُ. وكان يعني هيكل جسده » وكان كلامهُ لتلاميذهِ في ذلك أوضح لا مجازَ فيه ولا استعارة قال الانجيلي متى (١٦: ٢١): « ومبدأ يسوع يبيّن لتلاميذهُ انهُ ينبغي لهُ ان يمضي الى اورشليم ويتألّم كثيرًا.. ويُقتل ويقوم في اليوم الثالث » ولمّا تجلّى على جبل الطور امام ثلثة من تلاميذه اوصاهم بكتم الامر قائلًا (متّى ١٧: ٩): « لا تُعلموا احدًا بالرؤيا حتى يقوم ابن البشر من بين الاموات » وقبل آلامهِ عيّن لتلاميذهِ الجليل كموعد اجتماعهِ بهم بعد قيامتهِ فقال لهم (متّى ٢٦: ٣٢): « متى قمتُ اسبقكم الى الجليل ». فترى ان يسوع جعل قيامتهُ من بين الاموات كالشاهد العظيم على كونهِ الهًا وبازاء هذه الآية يعدُّ بقيّة معجزاتهِ كلا شيء. وهذه القيامة من الموت لا تتمّ على يد آخر كما فعل اليّا واليشاع بابن ارملة صرفد وبابن الشونميّة وكما فعل عو بلمازر وبابن ارملة نائين وبابنة رئيس المجمع كلّا بل صرّح بانهُ هو هو الذي يُقيم هيكل جسدهِ بعد نقضهِ ويعيد نفسهُ الى جسدهِ باختيارهِ كما قال (يو ١٠: ١٧—١٨): « اني ابذلُ نفسي لآخذها ايضاً ليس احد يأخذها مني ولكني ابذلها باختياري لي سلطان ان ابذلها ولي سلطان ان آخذها » فلأنّه درّهُ من كلام لا يدع للريب مجالًا فان تمّ قضي على الجميع الاعتراف بلاهوتهِ وان لم يتمّ عرفناهُ انهُ مشؤوم ومسيح دجّال فلا وسيط بين الطرفين واذ لم يقل بهذا الاخير رجل عاقل بل اعداء المسيح نفسهم — الّا اليهود وقد بيّنّا سبب بغضهم — فلا يبقى الّا القول بانّ المسيح حقًّا قام وتمّ بقيامتهِ نبوّات الانبياء كما قال ذلك لتلميذَي عمواس (لو ٢٤: ٢٦): « أما كان ينبغي للمسيح ان يتألّم هذه الآلام ثمّ يدخل الى مجدهِ »

ولنا شاهد ثانٍ لا يستطاع ردّ شهادته اذ هي شهادة عدوّ مرغوم نريد به مجمع اليهود ورؤساء الكهنة فانهم بعد موت المسيح ودفنه قد تذكّروا وعده بقيامته فارادوا ان يحفظوا القبر في وجه تلاميذه فاتوا الى بيلاطوس قائلين (متى ٢٧ : ٦٣ — ٦٦): « أيها السيّد قد تذكّرنا ان ذلك المضلّ قال وهو حي اني بعد ثلثة ايام اقوم فمر ان يُضبَط القبر الى اليوم الثالث لئلّا يأتي تلاميذهُ ويسرقوهُ ويقولوا للشعب انهُ قام من الاموات فتكون الضلالة الاخيرة شرًّا من الاولى. فقال لهم بيلاطوس: انّ عندكم حرّاساً فاذهبوا واضبطوا كما تعلمون فمضوا وضبطوا القبر بختم الحجر واقامة الحرّاس». نعمَ ما فعلتم أيها اليهود فانكم بفعلكم هذا لم تُبقوا لاحد وجهاً للشكّ بقيامة الربّ. فلا يقولنّ الحرّاس باغرائكم بعد ذلك (متى ٢٧ : ١٢) : « ان تلاميذهُ اتوا ليلًا وسرقوهُ ونحن نيام » فان كنتم نياماً كيف امكنكم بأن تؤكدوا أنّ تلاميذهُ سرقوهُ افتُقبل شهادة النائم ؟ ثمّ ان كنتم نياماً كيف استطاع عدد من التلاميذ أنْ يأتوا وينقضّوا ختم الدولة الرومانيّة ويدحرجوا حجرًا كبيرًا ويخرجوا الجسم ولم يحسّ بكل ذلك احد من الحرّاس ؟ وان كنتم نياماً كيف لم يجازكم اليهود والوالي بيلاطوس بعقاب اليم على اهمالكم لواجباتكم وهي الليلة الاولى لحراستكم بل يرشونكم على خلاف ذلك بالدراهم على شرط ان تخفوا الحقيقة ؟ وان كان التلاميذ سرقوا الجثة كما تزعمون فكيف تسكتون عنهم ولا تحاكمونهم ؟ وما اسهل الزام قوم جبناء بالاقرار بالحقّ فاذ لم تفعلوا بيّنتم على رؤوس الملأ ان المسيح حقًّا قام

ودونك شهودًا صادقين ألا وهم الحواريّون ورُسل الرب الذين كانوا بعد توقيف المسيح في بستان الزيتون تفرّقوا كالنعاج الضالّة وتصدّع شملهم وأيسوا عند استماعهم بخبر آلام وموت سيّدهم من خلاص اسرائيل وهم جاليلّيون ضعفاء الحال يعتبرهم اليهود كسُقّاط مأتهم يرون نفوسهم في اورشليم كقوم غرباء لا سند لهم ولا نصير. نعم انّهم كانوا سمعوا سيّدهم يعدهم بقيامته لكنّهم لم يدركوا معنى قولهِ. وكانوا مع ذلك معروفين بسذاجتهم وصفاء نيّتهم يشهد الكل على حسن سيرتهم فلم يخطر على بالِ احد انّهم أضمروا الخداع والغشّ او انهم تجرّأوا على بطلي الدولة الرومانيّة ليفتحوا قبرًا مختوماً بخاتم الوالي ويحرسهُ الحرّاس. فهؤلاء هم الذين قاموا بعد أيّام قليلة وأعلنوا على رؤوس الاشهاد بان سيّدهم المصلوب قد قام ولم يخافوا في شهادتهم

لومة لائم وهم في نفس اورشليم امام جماهير الشعب حيث كان القبر قريباً من كل من يريد تحقيق قولهم . واذ تهدّدهم رؤساء الشعب والكهنة بالعقاب والقوهم في السجون وضربوهم وحرّجوهم ليلزموا السكوت لم يفعل فيهم الوعد والوعيد واكتفوا بان قالوا لمضطهديهم بكل شهامة (اعمال ٤ : ١٩) : « احكموا انتم . ما العدل امام الله ان نسمع لكم ام نسمع لله فانّا لا نقدر أن لا نتكلّم بما عاينّا وما سمعنا » و « أن الله احقّ من الناس ان يُطاع » (اع ٥ : ٢٩) فكانوا اذا مثّلوا بهم يخرجون « فرحين بأنهم حُسبوا مستأهلين ان يُهانوا لاجل اسم يسوع » . وشهادتهم هذه يؤيدونها بالمعجزات الباهرة ويصرّحون بانهم يأتون بتلك الآيات باسم يسوع الناصري « الذي اسلمهُ اليهود الى الموت وهو مبدئ الحياة فاقامهُ الله من بين الاموات » (اع ٣ : ١٣ — ١٥)

وان قيل انّ رسل المسيح انخدعوا فأُصيبوا بنوع من الخَبَل لمحبّتهم المفرطة لسيّدهم او لتصديقهم شهادة نسوة غلبت عليهنّ المخيّلة فرؤين لتلاميذ الربّ رؤى لا صحّة لها قامت في وجهك ببيّنات لا سبيل الى نقضها لأنّ رؤى المسيح بعد قيامته لم تنحصر في امكنة قليلة وافراد قليلين وهيئات مشتبَه بها لكنّها تعدّدت بحيث لم تدع ريباً لمستريب . وذلك :

اوّلاً من حيث عدد الرؤى . فانّ ما ذكرهنّا الانجيليُّون وبولس الرسول في رسائله يبلغ عددها الى قرب العشرين ولم يحصوها كلّها كما أكّد لوقا (اع ١ : ٣)

ثانياً من حيث الأمكنة . تراءى الرب لذويه بعد قيامته عند القبر على طريق جبل الجلجلة على طريق عمواس في علّيّة صهيون والابواب مقفلة عند بحر طبريّة على جبل في الجليل على طور الزيتون

ثالثاً من حيث الازمنة . تراءى « لهم مدّة اربعين يوماً » (اعمال ١ : ٣) في ازمنة مختلفة صباحاً ومساء نهاراً وليلاً في أيام متفرّقة ومتتابعة

رابعاً من حيث الاشخاص . تراءى للافراد كمريم المجدليّة وبطرس (لو ٢٤ : ٣٤) ويعقوب (١ كور ١٥ : ٧) وبولس (١٥ : ٨) . تراءى لبعض النساء كالنسوة الصالحات (متى ٢٨ : ٩) وتلميذَي عمواص (لو ٢٤ : ١٣ — ٣٣) والاحد عشر دون توما (يو ٢٠ : ١٩ — ٢٣) والاحد عشر مع توما بعد جحوده (٢٠ : ٢٣ — ٢٩) وبعض التلاميذ

التصيدين (يو٢١ : ١—١٣) واكثر من خمسمائة معاً (١ كور ١٥ : ٥)

خامساً من حيث الهيئات . تراءى لمريم المجدلية في هيئة حملتها على الظن بانهُ بستانيّ . ولتلميذَي عمواس في هيئة مسافر . ولتلاميذهِ في هيئتهِ المعهودة لكنَّها المجيدة حافظاً في جوارحهِ آثار المسامير وفي جنبهِ اثر الطعنة . وكان في ظهورهِ لهم يكلمهم ويكلمونهُ ويلمسونهُ كما فعل توما ويبكتهم على عدم ايمانهم بقيامتهِ ويأكل معهم ويذكرهم باقوالهِ ويوصيهم بوصاياهُ « ويعلمهم ما يختص بملكوت الله » (اع ١ : ٣) اي بتدبير كنيستهِ وتوزيع اسرارهِ والدعوة الى دينهِ

فيا لله اي حادث تاريخي تأيد بادلة ساطعة كهذه فان أنكرهُ الجاحد اقتضى عليهِ انكار كل الحوادث التاريخيَّة والشكّ في كل ما يرويه اصدق الثقات

ولنا مع هؤلاء الشهود الاعيان شهود آخرون يعمُّون كل الازمنة والامكنة نزيد بهم اللايين من الذين تبعوا شريعة المسيح ودانوا بدينهِ وكلُّهم كانوا نبذوا هذا الدين ظهريًّا لو لم يتحقَّقوا صحَّة قيامة المسيح كما قال بولس (١ كور ١٥ : ١٤) : « ان كان المسيح لم يقم فكرازتنا اذن باطلة وايمانكم باطلٌ ». وبين هؤلاء الشهود امم برمَّتها قد فاقت في كل الازمنة على سواها بترقيها وتمدنها . بينهم جماهير العلماء الذين شرَّفوا جنس الانسان والنوابغ المشار اليهم بالبنان . بينهم الالوف المؤلفة من الزهَّاد من فاعليّ الخير من مهذَّبي الامم من المتفانين في خدمة كل العاهات البشريَّة . منهم الشهداء من كل جنس وكل سنّ وكل بلاد الذين صبغوا بدمائهم الكريمة كل الاصقاع على توالي الدهور فازدروا بالعذابات وكل تنكيل وموت ليقرروا حقيقة قيامة المسيح . وما اثبتوهُ بدمهم كلنا مستعدُّون ان نختمهُ بدمنا وليس عملنا عن هوس او جهل اذ ليس دين يثبت صدق تعاليمهِ كديننا . فما احلى الموت في سبيل الحقّ ! وان كان سفك الانسان دمهُ حبًّا لوطنهِ من اجلّ الامور واشرفها فما قولك باهراقهِ في حبّ الربّ الذي سبق واحبَّنا الى أن مات لاجلنا لينقذنا من شرور الآخرة والهلاك الابديّ

فليت شعري ان كانت كل هذه الشواهد لا تُقنع الجاحدين أحَدناهم الى شواهد أخرى قامت في هذه الاجيال الاخيرة من بطن الارض تصرخ بلسان حالها : « قام المسيح وقيامتهُ لاشكّ فيها ». نزيد بذلك العاديَّات النصرانيَّة التي اكتشفها

الاثريّون في كل انحاء العالم القديم ولا سيما في ديماس رومية جاءت مصدقة لقول المسيح للفريسيين لما ارادوا حسدًا ان يُسكتوا الشعب الصارخ في الهيكل : هوشعنا لابن داود مبارك الآتي باسم الرب : فاجابهم يسوع (لو ١٩ : ٤٠) : « ان سكت هؤلاء صرخت الحجارة » وهذا قد تمّ بالحرف بوجود تلك العاديّات الراقية الى اجيال النصرانيّة الاولى وهي تمثل رسوم قيامة المسيح بتصاوير زاهية ورموز لطيفة فمنها ما يمثل قبر المسيح مع شعاره وبقربه الحرّاس النيام ومنها ما يُرى فيه المسيح عند القبر فاتحًا جنبهُ ليريَهُ الى توما . ومنها ما يدلُّ على نبوّات القيامة كصورة يونان الخارج من بطن الحوت ودانيال الناجي من مخالب الاسود وانباء كثيرة غيرها . وقد افردنا لذلك مقالةً مطوّلة في السنة ١٩٠٦ (المشرق ٩ : ٣٢٧—٣٤٦) كفى بها دليلًا على معتقد النصارى الاوّلين بقيامة المسيح وشاهدًا مقنعاً لكلّ من لا يحجب نظرهُ عن الحقّ المبين

فان كانت كل هذه الشواهد صادقة — ولا سبيل الى نفي صدقها وفكران صحّتها — فلا يبقى الّا ان يقرّ الجاحد بلاهوت المسيح لأن الامرين متلازمان . ما لم يُقل انّ الله ألقى البشر في غرايز لا مناص لهم منها اذ أيّد الكذب والخداع بالمعجزات الباهرة وحاشا الله ان يفعل ذلك

أما الاعتراضات التي التجأ اليها الملحدون في عصرنا كستروس (Strauss) الالمانيّ ورينان وتلميذهما المصري الدكتور توفيق صدقي في مجلة المنار فكلّها تذوب وتتلاشى بازاء هذه البراهين اللامعة كالشمع بازاء النار والماء بازاء الريح والظلمة بازاء الشمس لأنّها كلها مبنيّة على شُبُهات لا طائل تحتها وسفسطات يملّها كل ذي عقل مستقيم لا يكابر الحقّ المنير

وكان يمكننا ان نضيف الى ما سبق بينات اخرى تشهد لاعتقادنا الوهيّة المسيح منها صعودهُ الى السماء في اليوم الاربعين من بعد قيامته كما رواهُ الانجيليُّون ونقلَهُ القرآن عنهُ حيث قال (سورة آل عمران ع ٤٨) : « اذ قال الله ياعيسى اني متوفّيك ورافعك اليَّ ومطهّرك من الذين كفروا »

وكذلك رجوعهُ في يوم الاخير لدينونة العالم كما انبأ به اليهود أمام قيافا حيث قال (متى ٢٦ : ٦٤) : « اقول لكم انكم ترون ابن البشر جالساً من عن يمين

القدرة وآتياً على سحاب السماء "وكقوله (يو ٥ : ٢٢) : " انَّ الآب لا يدين احداً بل اعطى الحكم كلَّهُ للابن " . وهذه الدينونة التي خُصَّ بها السيد المسيح يقرّ بها علماء الاسلام ايضاً وهي من مميزات لاهوته

وماذا نقول عن اعمال الكنيسة التي انشأها وكلُّها تثبت الوهيَّة المسيح فلولا المسيح فيها ومعها الى منتهى الدهور لكانت قويتْ عليها ابواب الجحيم كما قويت على كل الأديان السابقة وهي اليوم اسماء بلا اجسام . لكن هذا البحث واسع المجال نرجئه ان شاء الله الى فرصة أخرى

ولنختمنَّ اليوم مقالاتنا عن الوهيَّة المسيح بقولنا مع احد جهابذة النصرانيَّة : لولا الوهيَّة المسيح وتذلُّلهُ بأخذ طبيعتنا لبقي العالم متكئاً في ظلامه وبقيت ضلالات الوثنيين الغليظة مطبقة على عقول البشر حتى في الامم الارقى تمدُّناً والاوسع عمراناً كاليونان والرومان والبابليين والمصريين فان فواحش اديانهم الباطلة كانت تزداد مع ترقّيهم في الحضارة واذ رأى البشر انَّهم لا يستطيعون ان يترقّوا الى كمالاته تعالى جعلوا لهم آلهةً تضاهيهم في اهوائهم ليعبدوا افكارهم واهواءهم ولذّاتهم بهيئة الآلهة الكاذبة

وانَّا نتأنَّس ابن الله الكلمة ليبيّن لنا بسرّ تجسُّده كيف يمكن للالوهيَّة ان تلبس ضعفنا وتتَّحد بطبيعنا دون ان تنحطّ او تفقد شيئاً من خواصها واذ كان الكلمة في طبعه الالهي غيرَ قابل التغيُّر في ذاته اتَّحد بطبع آخر ناط به ضعفنا ليشفيه

فكأنَّ الله يقول لمخلوقه : يا أيُّها الانسان قد رغبتَ في أنَّ الآلهة تكون مثالك بشرًا فأنت بذلك على ضلال مبين فها انا اعرض عليك عبادةً جديدة عبادة إله وانسان معاً لا يعرو جلالهُ تغيير من حيث هو إله ويقبل من حيث هو انسان كل ارجاعك وعذاباتك وحتفك دون الخطيئة ليعلّمك في شخصه الكريم كيف تقدّسها وتنال بها الجزاء السرمديَّ حتى اذا تشبَّهت بالاله لا تعود تأتي اثماً فظيعاً بل تجترح عاملاً صالحاً لأنَّ الاله صار انساناً حتى يصير الانسان إلهاً بالاقتداء . كما قال الرسول (روم ٨ : ٢٩) " انَّ الذين سبق الله فعرفهم سبق فحدَّد ان يكونوا مشابهين لصورة ابنه حتى يكون بكرًا بين اخوة كثيرين " فيمجّدهم كما مجّد ابنهُ الذي لهُ العزّ والكرامة والقدرة الى دهر الدهور آمين (تمَّت)